

بسم الله الرحمن الرحيم

## أمور مهمة في أول النسك

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

نحمد الله -تبارك وتعالى- أن بلغنا هذه البقاع، ونسأله -تبارك وتعالى- أن يتقبل منا ومنكم.

ونحن في أول هذا النسك ينبغي أن نتذكر جملة من الأمور؛ من أجل أن يكون هذا العمل، وهذا الحج، وهذه العبادة على وجه صحيح لائق.

لقد سمعنا الكثيرين يسألون بعد سنين طويلة عن إعادة الفرض، يقولون: نريد أن نحج، وقد حججنا، لكن يريدون حجة أخرى؛ لتكون هي الفريضة، وهيهات، وحينما يُسألون عن هذا يقولون: قد حججنا حجة لم نراع فيها ما ينبغي، وكان يغلب علينا فيها أحوال من المرح، والتضييع، والتفريط، والعبث، والاشتغال بما لا يعني.

ومعلوم أن الحج إذا وقع مستوفياً للشروط، وانتفت عنه موانع الصحة فإنه يكون الفريضة، ولو كان ناقصاً، وأما ما يأتي بعده فهو تطوع.

وإن الكثيرين في هذا المكان إنما يحجون الفريضة، حتى أولئك الذين يحجون التطوع ينبغي عليهم أن يراعوا هذه الأمور جميعاً.

فأول ذلك أيها الأحبة منذ البداية:

**النية والإخلاص لله رب العالمين.**

فهذا هو الأصل الكبير، وهو الشرط الأعظم لقبول الأعمال: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...))<sup>(١)</sup>.

والله -عز وجل- يقول في الحديث القدسي: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))<sup>(٢)</sup>.

فماذا تريد بهذا الحج؟ وجه هذا السؤال إلى قلبك، هل تريد ما عند الله -تبارك وتعالى- والدار الآخرة؟ أو أن الإنسان البعيد يريد أمراً من أمور الدنيا، كأن يريد الذكر، والرياء، والسمعة، وأن يقال: حاج، أو أن يحسب العداد، هذه الحجة رقم كذا، أنا أحج كل عام؟، وما يغني عنه ذلك؟.

(١) أخرجه البخاري، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ (٦/١)، رقم: (١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٢٢٨٩/٤)، رقم: (٢٩٨٥).

قاله الناس، وقد قيل، هذه المشاعر هذه البقاع الطاهرة كم درج فيها أقوام لربما كان بعضهم يلتفت إلى هذه المقاصد الدنيئة، وذهبت أجيال وأجيال وقرون ووفود، وقد طوتهم المنايا، فما أغنت عنهم تلك المقاصد؟ ماذا حصلوا؟ ماذا جنوا؟

**((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)).**

وأول من تسعر بهم النار يوم القيامة هم أصحاب المقاصد السيئة، الثلاثة: المجاهد، والجواد، والقارئ، أو العالم. أجل الأعمال، وأفضل الأعمال، فتسعر بهم النار قبل السُّراق، والزناة، وأصحاب المسكرات والمخدرات. هي هذه النية كيف توجه؟ العمل هو العمل، والمكث هو المكث، والمشقة هي المشقة، ولكنها النية، وإذا وجدت هذه النية الصحيحة هانت المصاعب، وصار العبد يستلذ بما يجد من المشاق، ويستلذ بما يبذل من النفقات؛ لأنه يعلم أنها مخلوفة، فهو يطلب ما عند الله -تبارك وتعالى. هل المقصود الفرجة؟ هل المقصود المؤانسة؟ هل المقصود التجارة؟ المكاسب الدنيوية؟ ينبغي أن نسأل أنفسنا هذا السؤال.

خليليّ فطّاع الفيافي إلى الحمى \*\*\* كثير وأما الواصلون قليلُ

الركب كثير، ولكن من يصل، ذكر الحافظ ابن رجب -رحمه الله- أن أحد المتقدمين حج ماشياً، بل كان يحج ماشياً في كل سنة، فكان في ليلة نائماً، فطلبت منه أمه شربة ماء، فتناقل عن ذلك، تتناقل أن يقوم عن فراشه ليسقي أمه، ثم بعد ذلك تذكر حجه ماشياً، وكيف يخف عليه ذلك في كل سنة، في الوقت الذي يتقل عليه القيام من فراشه من أجل أن يسقي أمه شربة ماء فيما لا يتطلب سفر. فحاسب نفسه، فرأى أن ذلك لا يهونه -يعني السفر ماشياً- إلا نظر الناس، إلا ثناء الناس، إلا مقال الناس، فكان ذلك سبباً ليقظة قلبه<sup>(١)</sup>.

قد نشط في بعض الأعمال، ولكننا نكسل في أقل القليل، قد ينشط الإنسان ليحج كل سنة ويتعنى، ولكنه يكسل ليقوم ليصلي الفجر، فلا يصلها إلا بعد طلوع الشمس، كيف يتعنى، ويذهب، ويسافر في كل سنة، وهذا الزحام ويتحمل، ولكنه في صلاة الفجر لا يستطيع أن يفارق الفراش، فيخرج الوقت وهو لم يصل؟. ولهذا قال بعض السلف: رب محرم يقول: "لبيك اللهم لبيك" فيقال له: لا لبيك ولا سعديك، لما سئل عن هذا، قال: لعله اشترى ناقة بخمسائة درهم، ورحلاً بمائتي درهم، ومفرشاً بكذا، ثم ركب ناقته، ورجل رأسه، ونظر في عطفيه.

يعني: كأنه يباهي بهذا العمل، ويتزين به أمام الناس.

ولهذا قد يغفل الإنسان عن مثل هذه المعاني، أنا حججت في الحملة الفلانية خمس نجوم، أنا حججت في الحملة الفلانية دفعت في الحملة عن الشخص الواحد ثلاثين ألفاً، أو حججت بأكثر من هذا، مع من حججت؟ مع من حججت؟ مع من حججت؟

(١) لطائف المعارف (٤٢٠).

ويصبح يتحدث شهوراً ودهوراً عن هذه الحجة في المجالس.

ومن هنا استحب للحاج أن يكون في حال من الشعث، أغبر، وفي حديث المباهاة في يوم عرفة أن الله يقول لملائكته: **((انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً، غبراً، ضاحين))** يعني: متعرضين للشمس **((اشهدوا أنني قد غفرت لهم))**<sup>(١)</sup>.

وهذا يدل على أن الترف ليس بمطلب، وأن الحج، ونوع الحملة، ونوع الخدمات، وألوان المباهاة أن هذا ليس بمطلب.

ثانياً: **أن النفقة في طاعة**، وأنها مخلوفة، لا تتفق قليلاً ولا كثيراً إلا وجدته عند الله -عز وجل- إذا وجدت فيه النية، وخير ما تُبذل به الأموال هي هذه الأعمال، في هذه البقاع، في هذه الأيام، مع هؤلاء الركب. أنفق ولا تستخسر، ليست الغبطة أن يرجع بعض الناس، وهو يفتخر أنه لم ينفق في هذه الحجة أكثر من أربعمئة ريال.

ليست الغبطة أن يوفر الإنسان قدر المستطاع، وكثير من الناس سؤالهم في مثل هذه الأيام إنما هو عن الحج الذي لا هدي فيه.

رأيت من يسأل عن العمرة بعد الحج، فسألتهم عن هذا، قلت: يمكن أن تعتمر، وأنت متمتع مع الحج، ويمكن أن تكون قارناً في حجك.

قال: لا. قلت: ولم؟ قال: من أجل الهدى.

يريد أن يعتمر بعد الحج من أجل أن يوفر الهدى، هل هذا مقصود؟

انظروا إلى هذه الجملة الثلاث في سورة البقرة، وتذكروها دائماً في كل نفقة في سبيل الله -تبارك وتعالى-: **{وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ}** هذه الجملة الأولى، "خير" هنا نكرة في سياق الشرط، والنكرة في سياق الشرط، أو النهي، أو النفي، أو الاستفهام تفيد العموم، وإذا سبقت بـ"من" **{مِنْ خَيْرٍ}** فإن ذلك ينقلها من حيز الظهور في العموم إلى التنصيص الصريح في العموم، فتكون نصّاً صريحاً في العموم.

**{وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ} قَلَّ أَوْ كَثُرَ {فَلِأَنْفُسِكُمْ}**.

أن تبر نفسك، فاجتهد في برها، هذه الجملة الأولى.

الجملة الثانية: **{وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ}** أن هذا يراد به ما عند الله -تبارك وتعالى-، فهذا هو الإخلاص.

إذاً لا تنتظر من الآخرين أن يقولوا: "شكراً"، ولهذا عائشة -رضي الله عنها- كانت إذا أرسلت بالصدقة، تقول للخادم: انظري ما يقولون.

يعني إذا قالوا "جزاكم الله خيراً" فقولي: بل أنتم جزاكم الله خيراً.

من أجل أن لا تحصل المكافأة ولو بكلمة، ولهذا قال شيخ الإسلام -رحمه الله- فيمن ينفق، ويتصدق، ويحسن،

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات (٤/٢٦٣)، رقم: (٢٨٤٠).

وهو ينتظر الشكر بأن ذلك ليس ممن قال الله -تبارك وتعالى- فيه: **{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِرِجَاءِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا}** [الإنسان: ٩] (١).

فالذي ينتظر الشكر من الآخرين، أو الثناء، أو التقدير، سواء كانت هذه النفقة في الصحبة، أو في القرابة، أو لعموم الناس، يقول لهؤلاء الأصحاب: أنا أنفق منذ مشينا من البلد، وأنا الذي اشتري، وأنا الذي أسابق، وأنا الذي أدفع ما سمعت منهم كلمة، واحد يقول: أنا أدفع عنك، أو يقول: شكراً، أو يقول: جزاك الله خيراً.

إذا كنت تنتظر مثل هذا فلا بأس **{(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)}** ولكن كن كما قال الله:

**{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِرِجَاءِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا}** [الإنسان: ٩].

الجملة الثالثة: **{وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ}** [البقرة: ٢٧٢].

هذه الجملة في التوفية، أن الجزاء يكون وافياً لا ينقص، ولا يحصل فيه تأخير **{يُؤْفَ إِلَيْكُمْ}** إذاً ماذا تنتظر؟ ليكن أمرك لله -تبارك وتعالى-، وتريد ما عند الله، فهذه ثلاثة أمور إذا تذكرها العبد بذل وأنفق بنفس منسرحة مقبلة، ويكون فرحاً، مسروراً، مستبشراً، مغتبطاً، يرى أن الآخذ هو صاحب النعمة عليه والفضل.

ومن هنا، هذه النفقة في الحملة، النفقة على الأصحاب، النفقة في الهدى، النبي صلى الله عليه وسلم -حج قارناً، وبعضهم قال: حج مفرداً، وعلى قول من قال بأنه حج مفرداً: ليس عليه هدي واجب، ومع ذلك نحر مائة بدنة، كان يكفي للقران -عليه الصلاة والسلام- أن يذبح شاة واحدة، نحر مائة بدنة وضحى عن أزواجه بالبقر. يعني: قدم الهدى عن أزواجه بالبقر، مائة بدنة عن نفسه.

مائة كم تبلغ أيها الإخوان؟ ونحن ما حالنا مع الهدى؟ لربما نبحت عن الحج الذي لا هدي فيه، وإذا أردنا أن نشترى الهدى نبحت عن الأرخص.

شركة، أربعمائة وخمسون، كفاية، لكن أن نبحت عن الأفضل، أن نبحت عن تلك التي يتسارع إليها الفقراء، يتهافتون على لحمها، أو يقول الإنسان: أنا أريد أن أقدم بدنة، هنا نبدأ نحسب حسابات مادية، ونحن نريد ما عند الله -تبارك وتعالى-.

حكيم بن حزام كان يقف بعرفة، ومعه مائة مقلدة، مائة ناقة عليها القلائد، ومائة رقبة، يعتقهم في عرفة، فيضح الناس بالدعاء والبكاء، يقولون: ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيده، ونحن عبيدك فأعتقنا (٢).

وكان قد أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير، وفعل مثل ذلك في الإسلام، وأهدى مائة بدنة، وألف شاة، وأعتق بعرفة مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها "عتقاء الله عن حكيم بن حزام".

نحن ماذا نقدم بعرفة؟ ماذا نقدم بمنى؟ **{وَلِيَالٍ عَشْرٍ}** [الفجر: ٢] القسم ما يكون إلا بمعظم.

**{(ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟ قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله،**

(١) مجموع الفتاوى (٣٣٠/١٤).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٨٤).

فلم يرجع بشيء))<sup>(١)</sup>.

في أفضل البقاع، وأنت متلبس بالنسك، لا يوجد أفضل من هذا. أفضل الأعمال كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله - فيما نقله الحافظ ابن القيم هو ما يكون فيه العبد بمقتضى الحال، فإذا كان النداء للصلاة فأفضل العمل هو إجابة المؤذن، وإذا جاء وقت الحج فأفضل العمل هو الحج. ولذلك فإن شغل الوقت في مثل هذه الأيام المباركة بالذكر، والتكبير، والتلبية، والإحرام أفضل. لا تقل: جئنا من اليوم السادس، أو الرابع، أو الخامس، جئنا مبكرين.

هذه الأيام العشر كون الإنسان يكون فيها محرماً هذا من أجل الأعمال، وأفضل الأعمال، وهو متلبس بالنسك. الأمر الثالث الذي ينبغي أن نتذكره: أن العبرة بإحسان العمل، قال تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** [الملك: ٢] ما قال: أيكم أكثر عملاً.

قد يحج الإنسان حجة واحدة، ولكنها مقبولة مبرورة، وآخر يحج ستين حجة ولكننا مردودة، ما الفائدة؟ ليست العبرة أن نتخلص من العبادة بأي طريق كان، نحن حينما ننظر إلى الشاشة، ونحن في البلد، ننظر إلى الحجاج أيام الحج إن كان منا من لم يحج القلب يتقطع على هذه المشاهد والبقاع، ويعتقد الإنسان وهو يشاهد هؤلاء الحجيج أنهم في جنة، وروضات، ويقول: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً. وإذا جاء إلى الحج، لربما تضيق نفسه، ويسوء خلقه، ويكون همه وحرصه هو التخلص من أعمال الحج بأقرب طريق كان، الحج المختصر.

لربما بعضنا يوصف ذلك لغيره، يأتي في آخر ساعة من الليل إلى عرفة، يأتي من الطائف، يسكن في فندق في الطائف، ثم يأتي ويمر على طرف عرفة، ثم يرجع للفندق، ما الذي بقي؟ المبيت بمزدلفة واجب، يُجبر بدم، سهلة عند هذا، المبيت بمنى واجب يجبر بدم. رمي الجمار واجب يجبر بدم، ماذا بقي عليه؟ بقي الطواف والسعي، فيذهب إلى بلده، يمكن أن يرجع لا يذهب إلى الفندق، يرجع إلى بلده، ثم يأتي بعدما يخف الحجاج ويطوف ويسعى، والحمد لله. لم يعرق، ولم يتعب، وإنما هو في سيارته فقط دخل طرف عرفة، قال: الحمد لله أنا كل سنة أحج، هل هذا هو المطلوب؟ هل يفتخر الإنسان بمثل هذا؟ يتسابق الناس من يصل إلى البلد أولاً؟

اجمع الرمي، رمي يوم الحادي عشر، مع رمي يوم الثاني عشر، هذا يرميه قبل الفجر بلحظة، ثم يقف قليلاً، فإذا أذن الفجر رمى ليوم الثاني عشر، مع أنه لا يصح على الأرجح الرمي قبل الزوال، فيرمي اليومين، ثم بعد ذلك ينطلق ويطوف طواف الوداع بعد الفجر، وينطلق إلى المطار، وفي الضحى هو في بلده، وكأن القضية أنا أول واحد وصل إلى البلد من الحجاج.

يوم الثاني عشر في الضحى هو عند أهله، هل هذا هو المطلوب؟ هل هذا من المقاصد والمكاسب مما نحرص عليه، ونتطلبه، ونسعى من أجل تحقيقه؟، ليست القضية هكذا.

(١) أخرجه البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق (٢/٢٠)، رقم: (٩٦٩).

**{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}** [الكهف: ١١٠].

في آيتين في سورة الكهف في أولها وآخرها ذكر شروط قبول العمل الثلاثة: **{وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ}** هذا الشرط الأول الإيمان **{الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ}** العمل لا يكون صالحاً إلا إذا كان خالصاً صواباً **{أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا}** [الكهف: ٢].

وفي آخر سورة الكهف: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}** الإخلاص والمتابعة **{وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}**، هذا التوحيد لله رب العالمين.

فلذلك أقول: تصحيح العمل، وتصحيح المقاصد هو الأساس، أن نحج حجاً صحيحاً على السنة، ومن فضل الله -عز وجل- علينا -والله إنني أتأمل هذا سائر ساعات اليوم وأمس- ما يسر الله -عز وجل- للناس اليوم أسمع الإخوة يقولون: نعلق أعمال المناسك في كل يوم، وتوزع في المطارات، وفي كل مكان، المطويات، والكتيبات، وفي المداخل، ويوجد في المواقيت من يعلم الناس، ويوجد في نواحي منى، ويوجد في الحملات، بينما في وقت مضى الناس في جهل عظيم، لا يجدون من يسألونه، ولا يستطيع أن يصل إلى عالم، ولا أن يعرف مكانه. أنا شخصياً أعرف بعض الناس، أحدهم يقول: أتينا وذهبنا إلى عرفة، ثم جلست في جبل، هذا شاب قد بلغ الأربعين، يقول: جلسنا في جبل، ووجدت رجلاً أشيب في منى، ذهبنا نصلي العيد في الحرم. مع أنه غير مطالب أن يصلي العيد في الحرم، يوم النحر، يقول: ثم رجعنا جلسنا في هذا الجبل، وبعد ذلك رجعنا إلى الديرة.

طيب وطواف الإفاضة؟ قال: ما طفنا الإفاضة، وما طواف الإفاضة؟ والسعي؟ قال: ما سعينا، ماذا عملتم؟ قال: صلينا العيد وجلسنا في جبل في منى.

قيل له: عليك طواف إفاضة، ارجع، وعليك سعي الحج.

هذه حجة الفرض، جاهل، موغل في الجهالة، ومع ذلك يستكف من الامتنال لحكم الشرع، فالله غني عنا وعن أعمالنا.

العبرة بتصحيح العمل **{لِيَبْلُغَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا}** [هود: ٧]، فهذا هو المقصود الأعظم الذي خلقت الخليفة من أجله **{لِيَبْلُغَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا}** أعلى مراتب العبودية: الإحسان، ومن الإحسان كما جاء في الحديث: **{(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)}**<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يراقبه العبد في أعماله في المناسك، في نفقاته، في ذكره، حينما ينظر بعينه، حينما يطلق لسانه فإنه يكون مراقباً لربه -تبارك وتعالى.

ثم تذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **{(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)}**<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم

الساعة (١٩/١)، رقم: (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبين خصاله (٣٩/١)، رقم: (٩).

(٢) أخرجه مسلم، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣)، رقم: (١٧١٨).

العمل لا بد أن يكون موافقاً للوجه المشروع، والنبى صلى الله عليه وسلم- يقول: **((لتأخذوا مناسككم))**(<sup>١</sup>). لهذا روي عن عمر رضي الله عنه- أنه قال: "الحاج قليل، والركب كثير"، والحافظ ابن القيم رحمه الله- يقول: "فالعاملون يعملون الأعمال المأمور بها على الترويج تحلة القسم، ويقولون: يكفيننا أدنى ما يقع عليه الاسم، وليتنا نأتي به"<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: هذا موسم عظيم، اجتمع فيه شرف الزمان وعظمة المكان.

هذه الأيام العشر التي أقسم الله -عز وجل- بها، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم- العشر بعشر الأضحى، **{وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ}** [الفجر: ٣] وأن الوتر هو يوم عرفة، وفسر الشفع بيوم النحر.

فهذه العشر هي الأيام المعلومات التي يُذكر الله -تبارك وتعالى- فيها: **{وَيَذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ}** [الحج: ٢٨].

هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم-: **((ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام))**.

"ما من أيام" نكرة في سياق النفي، وعرفنا أن هذا للعموم، وأنها سبقت بـ"من" فهي نص صريح في العموم. فهذه أفضل أيام الدنيا، وهذه أطهر بقاع الأرض، وهذا أعظم المواسم، ولو قال قائل: إن هذه العشر أفضل من العشر الأواخر من رمضان حتى الليالي، ليالي العشر الأواخر من رمضان إلا ليلة القدر -فإنها خير من ألف شهر- لم يكن ذلك بعيداً، فإن أعدل الأقوال في ذلك ما ذكره الحافظ ابن القيم رحمه الله- أن الأيام أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان إلا الليالي من أجل ليلة القدر<sup>(٣)</sup>.

فلو قيل: حتى الليالي إلا ليلة القدر؛ لأن الله أقسم بالليالي، والأيام تبع لليالي، والعرب تذكر الأيام وتريد الليالي، وتذكر الليالي وتريد الأيام.

**{وَلَيَالٍ عَشْرٍ}** [الفجر: ٢]، وكما عرفنا أن القسم لا يكون إلا بمعظم، نحن في أيام أفضل من العشر الأواخر من رمضان، فهل يصح أن تقضى بالأحاديث الجانبية، والضحك، والمزاح، والتندر، والتفريط، والتضييع، والنوم الطويل المتواصل؟

سمعت أحدهم يدعو صاحبه ويجر يده في عرفة في وقت الوقوف بعد الزوال، وصاحبه يقول: أين؟ يقول: من أجل أن نضيع الوقت، نور.

يوم عرفة! عشية عرفة! يريد أن يضيع الوقت، إذ متى سيستثمر الوقت؟ إذا كان يوم عرفة يضيعه الحاج في ذلك الموقف العظيم.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً (٢/٩٤٣)، رقم: (١٢٩٧).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤٠).

(٣) بدائع الفوائد (٣/١٦٢).

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((أفضل الجهاد حج مبرور))**<sup>(١)</sup>.

ولذلك انظر إلى حال السلف في العشر، سعيد بن جبير كان إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يقدر أحد على مثله.

هنا تجتمع أمهات العبادات، الصلاة، الصيام، الصدقة، أعمال الحج فيها يوم عرفة، وشاهد ومشهود، وهو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟))**<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الآخر: **((إن الله تطول عليكم في جمعكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل))**<sup>(٣)</sup>.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: **((خير الدعاء دعاء يوم عرفة))**<sup>(٤)</sup>، وسئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن صيامه فقال: **((يكفر السنة الماضية والباقية))**<sup>(٥)</sup> فيشرع ويسن صومه لغير الحاج.

وقال: **((يوم عرفة، ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب))**<sup>(٦)</sup>. هذا عيدنا الأكبر، ويوم الحج الأكبر هو يوم النحر.

عيد الفطر يوم واحد ينتهي بغروب شمس يوم العيد.

وبعض الأخوات دائماً يسألن عن الضرب بالدف، نخرج إلى استراحة يوم العيد في المساء بعد غروب الشمس؟، نقول: العيد انتهى، ولا يُضرب بالدف بعد غروب الشمس يوم عيد الفطر.

أما العيد الأكبر، يوم النحر فإنه يكون أيضاً معه الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، هذه الأيام إلى غروب الشمس، هذه كلها أيام عيد، أيام أكل وشرب، وذكر الله -عز وجل-، ويبتهج الناس بالعيد، ويضرب النساء بالدف.

انظر إلى عظمة هذا العيد، فيوم النحر هو يوم الحج الأكبر، كما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد قال: **((إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر))**<sup>(٧)</sup>. يوم القر الذي يستقر الحجاج فيه بمنى، هو اليوم الحادي عشر.

يعني ليست القضية فقط بالعشر، حتى أيام التشريق فهي أيام شريفة، أيام عيد، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (١٣٣/٢)، رقم: (١٥٢٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة (٩٨٢/٢)، رقم: (١٣٤٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الوقوف بجمع (١٠٠٦/٢)، رقم: (٣٠٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات (٥٧٢/٥)، رقم: (٣٥٨٥).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس (٨١٩/٢)، رقم: (١١٦٢).

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الصوم، باب صيام أيام التشريق (٣٢٠/٢)، رقم: (٢٤١٩).

(٧) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب في الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ (١٤٨/٢)، رقم: (١٧٦٥).



وسلم:- ((ثلاثة في ضمان الله -تبارك وتعالى-... وذكر منهم: ((رجل خرج حاجاً))<sup>(١)</sup>، ثم إنك منذ خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل خطوة تطؤها رحلتك حسنة، ويُحى عنك سيئة.

التلبية: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((ما من مسلم يلبى إلا لبي من عن يمينه أو عن شماله من حجر، أو شجر، أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا، وهاهنا))<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الآخر: ((ما أهل مهل قط، ولا كبر مكبر قط إلا بُشر، قيل: يا رسول الله بالجنة؟ قال: نعم))<sup>(٣)</sup>.  
كبروا ولبوا في مثل هذه الأيام.

وأما الطواف، استلام الحجر، استلام الركنين فقد جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((من طاف بهذا البيت أسبوعاً)) يعني: سبعة أشواط، ((فأحصاه كان كعتق رقبة))<sup>(٤)</sup>، وهذا حسنة الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله<sup>(٥)</sup>.

وقال: ((لا يضع قدماً، ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه خطيئة وكتب له بها حسنة))<sup>(٦)</sup>.

نلاحظ: إذا جئنا للعبادات بدأنا نحسب الريال، إذا جئنا نتصدق بدأنا نبحث عن الريال لنخرجه، الفئات القليلة، إذا جلسنا في المسجد نحسب الدقائق، طول الإمام.

إذا جلسنا في مجالس الذكر بدأنا نحسب الدقائق، لكن إذا جلسنا في مجالس الغفلة فإننا لا نحسب ولا نحصي. انظر مثلاً الممشى الذي يفخر كثير من الناس أنه يمشي خمسة كيلو، أو سبعة كيلو، أو نحو ذلك، رجال ونساء يهرعون، قد شمروا في الحر، والرطوبة، والسَّموم زرافات ووحداً يمشون من أجل الرياضة، وإذا جاء الطواف نطوف من فوق، نطوف من السطح، هذه يعدها في التاريخ، طفنا من السطح. يا أخي، أنت تدرع هذا الممشى، ولا تحتسب فيه عند الله -عز وجل-، كل يوم تفتخر أنك تمشي خمسة كيلو، وإذا جئت عند الطواف، كل خطوة حسنة وتُرفع وتحط خطيئة بدأ الإنسان يتناقل، كيف نستطيع أن نطوف؟، ما يحصل عربية، الآن جاء الوهن!، ما يحصل عربية في الممشى.

ننشط في سبيل هذه الأجسام، وتنميتها، وتغذيتها، ولكن إذا جئنا عند العبادة والطاعة بدأنا نحسب بطريقة أخرى.

الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وعلى قول جمع من أهل العلم كما هو معلوم أن ذلك يشمل الحرم جميعاً، ومنى ومزدلفة من الحرم.

(١) مسند الحميدي (٢/٢٥٥)، رقم: (١١٢١)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/٢٥١).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر (٣/١٨٠)، رقم:

(٨٢٨)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب التلبية (٢/٩٧٤)، رقم: (٢٩٢١).

(٣) المعجم الأوسط (٧/٣٧٩)، رقم: (٧٧٧٩).

(٤) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في استلام الركنين (٣/٢٨٣)، رقم: (٩٥٩).

(٥) مشكاة المصابيح (٢/٧٩٣)، رقم: (٢٥٨٠).

(٦) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في استلام الركنين (٣/٢٨٣)، رقم: (٩٥٩).

يعني: على هذا القول وهو قول مشهور وأدلته قوية أن الصلاة هنا بمائة ألف صلاة، واحسبها كم تخرج من سنة؟، مائة ألف صلاة، كل هذا تكفير الخطايا، غسل الذنوب، رمي الجمار، نحر الهدى كل هذا جاء فيه أحاديث وفضائل.

ولذلك كان العلماء يتسابقون في مثل هذه المشاهد والمقامات، على قلة ذات اليد، قلة الإمكانيات، أبو عبد الله المقري حج سبعاً وتسعين حجة ، بكير بن عتيق حج ستين حجة، يحجون على الإبل وعلى الأقدام، علي بن الموفق حج سبعين حجة، جعفر الخواص حج قريباً من ستين، سفيان حج سبعين حجة. هذا يقول: رأيت في الطواف كهلاً قد أجهده العباد، بيده عصا وهو يطوف معتمداً عليها، فسألته عن بلده، قال: من خراسان.

يقول: سألني كم تقطعون هذا الطريق؟

قلت: في شهرين أو ثلاثة.

قال: أفلا تحجون كل عام؟

كيف لو رأى ما نحن فيه الآن بالطائرة ساعة أو ساعة ونصف؟!.

هذا يقول: في شهرين أو ثلاثة، ما تحجون كل سنة؟

يقول: فقلت كم بينكم وبين هذا؟

قال: مسيرة خمس سنين.

هذا يحج على أقدامه وكل من وجد في هذا الطريق مشى معه حتى يصل.

وكان يقول:

رُر من هويتَ وإن شطت بك الدارُ \* \* \* وحال من دونه حُجب وأستارُ<sup>(١)</sup>

هكذا كانت نفوسهم، ولذلك حينما تسمعون الأشعار، والفرح، والاستبشار إذا أقبلوا على بلاد الحجاز، أو تسمعون الأشعار ممن قالها من أولئك الذين أقعدهم العذر، تعجبون كيف كانوا يشناقون إلى هذه الأماكن.

يقول شقيق البلخي: رأيت في طريق مكة مقعداً يزحف على الأرض، فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من سمرقند.

قلت: فكم لك في هذا الطريق؟

فذكر أعواماً، يقول: فتعجبت، قال: مالك تنظر إلي متعجباً؟

قلت: من ضعفك، فقال: يا شقيق أما بعد سفري فالشوق يقربه، وأما ضعف مهجتي فمولها يحملها<sup>(٢)</sup>.

الأسود بن يزيد اقرءوا ترجمته، وعبد الرحمن، وغير هؤلاء من النخعيين أهل عبادة، وزهد، وعلم.

الأسود حج ثمانين حجة وعمرة، عمرو بن ميمون حج ستين حجة وعمرة، عطاء حج سبعين وقيل أكثر.

أما الذين حجوا أربعين حجة فهؤلاء خلق لا يحصيهم إلا الله -تبارك وتعالى-، سعيد بن المسيب، بكير بن

(١) تفسير الثعلبي (١٩/٧).

(٢) روح البيان (٣١٠/٨).

عتيق، العدني، سعيد بن سليمان، العباس بن سمرة، أبو الفضل الهاشمي، أيوب السخيتاني، همام بن نافع، مكي بن إبراهيم، وغير هؤلاء، حجوا على الإبل، على الأقدام.

كيف كانت أحوالهم في الطريق وفي الحج؟

وكان محمد بن واسع من العباد يصلي الليل في طريق مكة في محمله يومئ إيماء، ويأمر حاديه أن يرفع صوته خلفه؛ حتى يشتغل الناس بسماع صوت الحادي، فلا يتقطن إليه أحد أنه يصلي، ويقرأ القرآن، ويقوم الليل<sup>(١)</sup>.  
المغيرة بن حكيم الصنعاني يحج من اليمن ماشياً، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن، فيقف، فيصلي حتى ينتهي من ورده، ثم يلحق بالركب متى لحق، وربما لم يلحقهم إلا آخر النهار حتى ينهي ورده<sup>(٢)</sup>.  
الأسود النخعي حج معه بعضهم، فكان إذا حضرت الصلاة أناخ راحلته، ولو على حجر<sup>(٣)</sup>.

الحج مدرسة، إذا كنا لا ننشط للعبادة في هذا المكان متى سننشط؟، لا توجد مغريات، لا ملهيات، بوادٍ غير ذي زرع، على الإنسان مثل الكفن، إنما جاء وتفرغ لهذا العمل، ماذا تريد؟ ماذا تنتظر؟ ماذا تطلب؟ ومع ذلك لا ننشط للعبادة، إذاً متى سننشط؟ أوقفوا هذه الأجهزة، اقطع الإنترنت، تفرغ للذكر، كن مخبتاً لله -تبارك وتعالى- عود نفسك إذا نودي للصلاة أن تضع ما بيدك وتجيّب.

هذا يقول: حججنا مع الأوزاعي فما رأيتَه مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب<sup>(٤)</sup>، على بعير في الطريق، لا في طائرة، ولا حافلة فخمة.

هذا عبد العزيز بن أبي حازم يقول: عادلني صفوان بن سليم إلى مكة، يعني كان معه على الرحل هذا في ناحية وهذا في ناحية، يقول: فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع<sup>(٥)</sup>.

محمد بن إسحاق يقول: قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجاً، فاعتلت إحدى قدميه فقام يصلي حتى أصبح على قدم واحدة<sup>(٦)</sup>.

ونحن نقول للإخوان: اقرأ وردك، استقبل القبلة واجلس على كرسي، وقراءة الورد اجعلها في الليل.

ولما احتضر عبد الرحمن بن الأسود بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أسفاً على الصوم وعلى الصلاة، ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات<sup>(٧)</sup>.

هؤلاء في جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة، ما كانت القضية ثقيلة عندهم، ما كانوا يتبرمون بالعبادة، يريد أن يتخلص، كانوا يعيشون في نعيم، وهذا يحتاج إلى مكابدة، كما قال ابن المنكر: كابدت الصلاة عشرين سنة

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٣٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات الكبرى (١٣٦/٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١٩/٧).

(٥) المصدر السابق (٣٦٦/٥).

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣١/٣٤).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٢/٥).

واستمتعت بها عشرين سنة<sup>(١)</sup>.

ولذلك كان يقول: إني لأدخل في الليل فيهلوني، فينقضي، وما قضيت منه أربي<sup>(٢)</sup>.

يقول: ينتهي الليل بسرعة، وأنا لم أشبع من مناجاة ربي، ومن الصلاة ومن قيام الليل.

ونحن إذا قام الواحد منا يصلي ركعة أو ثلاث ركعات يتململ، وهذا في طريق مكة يقول بعضهم: ما رأيت وضع جنبه في المحمل إلا ليلة واحدة، ومد رجله ثم استوى جالساً.

ابن عمر رضي الله عنه- كان إذا قدم إلى مكة طاف بالنهار خمسة وبالليل سبعة<sup>(٣)</sup>.

ابن أبي شيبه عقد في المصنف باباً قال فيه: من كان يستحب إذا دخل الرجل مكة ألا يخرج حتى يقرأ القرآن، ثم ذكر قول إبراهيم النخعي من التابعين: كانوا يعجبهم إذا قدموا مكة أن لا يخرجوا منها حتى يخطبوا القرآن بها. نحن كم قرأنا وكم نقرأ؟ ولا زلنا في البداية، وهذا التذكير في البداية، ما فات شيء، ابدأ بداية صحيحة، أمامك الحج، أنت في أول يوم.

الحسن يقول: كان يعجبهم إذا قدموا للحج أو العمرة أن لا يخرجوا حتى يقرءوا ما معهم من القرآن<sup>(٤)</sup>.  
وقرأ علقمة القرآن في ليلة بمكة<sup>(٥)</sup>.

يقول إبراهيم: طاف بالبيت سبعمائة، ثم أتى المقام فصلى عنده، وذكر قراءته ثم طاف، ثم أتى المقام فصلى عنده، ثم طاف، ثم أتى المقام فصلى عنده حتى قرأ بقية القرآن<sup>(٦)</sup>.

نحن نقول: لا يشرع الختم في ليلة، لكن هؤلاء كان لهم رأي في هذه المسألة، أنه في هذه الأوقات الشريفة يكثر من القراءة.

الخطيب البغدادي الإمام صاحب تاريخ بغداد، والكتب المعروفة المشهورة، يقول أبو الفرج الإسفراييني: حج معنا الخطيب، فكان يختم كل يوم قريبا الغياب قراءة ترتيل، ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب فيقولون: حدثنا. فيحدث<sup>(٧)</sup>.

يشرع في ختمة كل يوم إلى غروب الشمس، أو قريب من الغروب ويختم، ثم يبدأ يحدث الناس.

سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه- يقول بعض من رآه في عرفة: جعلت أنظر كيف يصنع، فكان في الذكر وفي الدعاء حتى أفاض الناس<sup>(٨)</sup>.

(١) المصدر السابق (٥/٢٢٤).

(٢) المصدر السابق (٥/٣٥٨).

(٣) أخبار مكة للفاكهي (١/٢٧٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبه (٣/٣٨٧).

(٥) المصدر السابق (٢/٢٤٣)، رقم: (٨٥٩٢).

(٦) المصدر السابق (٢/٢٦٠)، رقم: (٨٧٧١).

(٧) تذكرة الحفاظ (٣/٢٢٣).

(٨) مصنف ابن أبي شيبه (٣/٣٨١)، رقم: (١٥١٣٤).

انظر إلى أحوالنا في عرفة، هذا متمدّد، هذا يضحك، ويتحدث، ويمزح فلما تعب تمدد في مكانه ونام في وقت الذكر والابتهاال والتضرع إلى الله -تبارك وتعالى-، هل هذا يليق؟ أهكذا يكون الحاج؟ عطاء بن أبي رباح يقول لأحدهم: إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل<sup>(١)</sup>. أحوال عجيبة لهم في الحج.

#### خامساً: الحج فرصة للتغيير.

تغيير العمل، تغيير القلب، تغيير التفكير، تغيير الأخلاق، أنت بين جموع من الناس. أنا قبل مدة في الشاشة في قناة القرآن كنت أنظر إلى الذين يطوفون من هذا الدور الجديد للعربات، فلفت نظري أحد هؤلاء الحاج قدم يبدو من شرق آسيا يحمل امرأة كبيرة لعلاها أمه، يحملها على ظهره ويطوف. لا زالت بعض المشاهد، وقد رأينا من هذا بين عرفة ومزدلفة، من يحمل امرأة كبيرة هرمة، يحملها على كتفه، يحملها على عاتقه، الحج فرصة للتغيير.

ستجد أناساً عندهم صبر، ستجد ناساً عندهم بذل، ستجد ناساً عندهم سماحة، ستجد ناساً عندهم أخلاق راقية، ستجد ناساً عندهم تحمل شديد، ستجد ناساً عندهم حلم وعفو، ستجد أناساً عندهم ضيق صدر، وضيق عطن، لا تشمت بأحد، ولا تذكر أحداً إلا بخير، إذا رأيت شيئاً تكرهه فاجتنبه، الحج مدرسة، وإذا رأيت شيئاً يُستحسن فتخلق به.

نحن في كثير من الأحيان نقول: ما شاء الله، فلان ما شاء الله عليه، حبيب، وسمح، وخلوق، ولطيف، وبنسى هذا القائل أحياناً نفسه أنه شرس، أنه صعب، وأن أخلاقه شديدة، وغليلة، وعنيفة، هلا ذكرت نفسك بهذا الذي تستحسن من الآخرين؟

فلذلك ينبغي أن يستحضر الإنسان مثل هذه المعاني، ويعزم أن يرجع بوجه جديد، وبقلب جديد، أن يعود نفسه على العبادة، والذكر، والإخبات، والتواضع لله -عز وجل-، وسلامة الصدر، وكثرة الذكر، وقراءة القرآن، وحفظ اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور، وما إلى ذلك، وحفظ البصر، واجعل لك منهجاً في التعامل مع هذه الأجهزة التي سلبت الأوقات، وأشغلت الناس كثيراً عن ذكر الله -عز وجل-.

جرب هذه الأيام أن تتخلص من تتبع الواتساب، والتويتتر، وما إلى ذلك، جرب أن تتفرغ للعبادة، فإذا رجعت اجعل لهذا حداً محدوداً، بالكثير ما يتجاوز نصف ساعة في الأربعة والعشرين ساعة، والباقي نحن في تجارة مع الله، العمر قصير، ولا يصح أن تُقضى الأوقات في هذه الأجهزة وتتبع هذه الوسائل، أول ما يستيقظ الإنسان من النوم يفتح الجهاز يقرأ رسائل الواتساب، أو يقرأ في تويتتر، أو يقرأ في غيره من وسائل التواصل، أو نحو ذلك. لابد من مراجعة، لابد من حال جديد، وعمل جديد.

#### سادساً: أن الأجر على قدر المشقة.

المشقة كما قال الشاطبي وغيره: لا تطلب، وليست مقصودة للشارع، ولكن المقصود هنا المشقات العارضة

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/٣١٤).

للمكلف من غير أن يتطلبها.

الحج جهاد، من كان يظن أن الحج نزهة، أو أن الحج ترف فهو مخطئ، لا بد أن يوطن الإنسان نفسه، قد لا يجد فراشاً، قد لا يجد طعاماً، قد يجد الطعام بارداً، قد يجد تعباً وألماً، فهو في جهاد، فلا بد من تحمل المشقات. تتعطل السيارة، يتعطل التكييف، يتأذى بأي نوع من الأذى، يجد أثره، يجد الناس سبقوه إلى الفرش في مزدلفة، في عرفة، لا إشكال، الأمر سهل، ولو جلس الإنسان على التراب المهم يرجع بماذا؟ إن كان سيرجع بمغفرة الله - عز وجل - فلا بأس أن يتوسد التراب -يفترش التراب-، العبرة ليست فيما نجلس عليه أو ما نأكله، وإنما العبرة بما نرجع فيه.

وفي بعض ألفاظ حديث عائشة -رضي الله عنها-: **((إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك))**(<sup>(١)</sup>).

والمقصود به المشقات العارضة من غير قصد، يعني لا ينقصد الإنسان التعب، ويقول: أنا أريد أن أجلس بالشمس، وأجلس بالحر، وأمشي من بلدي إلى مكة.

هذا غير مطلوب، وإن اختلف العلماء في الحج ماشياً بين المناسك، أيهما أفضل الراكب أو الماشي؟

حديث أنس -رضي الله عنه- يقول: حج النبي -صلى الله عليه وسلم- على رجل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي، ثم قال: **((اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة))**(<sup>(٢)</sup>).

هذا الحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني(<sup>(٣)</sup>)، وضعفه الحافظ ابن حجر(<sup>(٤)</sup>).

وسعيد بن عمرو يقول: صدرت مع ابن عمر يوم الصدر، فمرت بنا رفقة يمانية ورحالهم الأدم، وحُطم إبلهم الحُزم - يعني من الليف، يعني في غاية التواضع-، فقال عبد الله بن عمر: من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة وردت الحج العام برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه إذ قدموا في حجة الوداع فليُنظر إلى هذه الرفقة(<sup>(٥)</sup>).

الترف، والتمشط، والتزين، والترجل، والتنعيم، والترفة ليس مقصوداً في الحج، فهذا أفضل الخلق -عليه الصلاة والسلام- هكذا كان يحج، وهؤلاء أصحابه -رضي الله عنهم.

قال رجل عند ابن عمر: ما أكثر الحاج!

فقال ابن عمر: ما أقلهم!

فرأى ابن عمر رجلاً على بعير على رجل رث خطامه حبل، فقال: لعل هذا(<sup>(٦)</sup>).

ويقول طاوس بن كيسان: كنت جالساً عند جابر بن عبد الله إذ مرت بنا رفقة من أهل اليمن قد أحفوا بالماء

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦٤٤)، رقم: (١٧٣٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الحج على الرجل (٢/٩٦٥)، رقم: (٢٨٩٠).

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٢٧٩)، رقم: (١٣٠٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٣/٣٨١).

(٥) مسند أحمد (١٠/٢١٣)، رقم: (٦٠١٦).

(٦) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٥/١٩)، رقم: (٨٨٣٦).

والحطب، فقال جابر بن عبد الله: ما رأيت أشبه بنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هؤلاء<sup>(١)</sup>. فهل يعقل هذا من يجعلون الترف هدفاً لهم ويتفاخرون أنهم ذهبوا في حملة بمائة ألف ريال عن الحاج الواحد؟ أين سكنت؟ في أي فندق؟ كيف كنتم تروحون للجمار؟ نركب السيارات التي تنقل المرفهين، ويكون في حال من النعمة، والترف، والرخاء.

هذا ليس بهدف، لا تحرص على هذا، ولا أسف على ما فاتك من الملاذ في الحج، فهي غير مأسوف عليها؛ لأنها ليست بهدف، في الصحيح عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، قال: حج أنس على رجل ولم يكن شحيحاً. يعني ما هو ببخل، وحدث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حج على رجل وكانت زاملته<sup>(٢)</sup>. يعني: على راحلة هي التي يركب عليها وعليها المتاع؛ لأن المرفهين في العادة يكون معهم رجل: دابة للمتاع، ودابة للركوب، فهذه دابة واحدة للجميع، فهذا من تواضعه -صلى الله عليه وسلم-. ويقول هشام بن عروة: كان الناس يحجون وتحتهم أزودتهم<sup>(٣)</sup>.

يعني: يتواضعون في الحج على راحلة واحدة فيها المتاع، ويقول آخر: كان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحاميل يقول: الحاج قليل والركب كثير<sup>(٤)</sup>. وبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- مع عائشة أباها عبد الرحمن -رضي الله عنهما- فأعمرها من التنعيم وحملها على قنّب، هذا أخرجه البخاري تعليقاً، وقد قال في صحيحه: باب الحج على الرجل، وذكر هذا الحديث<sup>(٥)</sup>.

على قنّب! هذا غاية التواضع، وترك الترفه، فهذا رجل صغير.

القنّب مثل السرج الذي يكون على الفرس، ما في مراكب كبيرة وفخمة، وإنما هو شيء يحصل به المقصود. ويقول مولى أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عن الجميع-: إنه كان يسمعها كلما مرت بالحجون، تقول: صلى الله على رسوله وسلم، لقد نزلنا معه هاهنا، ونحن يومئذ خفاف الحقائب، قليل ظهرنا، قليلة أزوادنا، فاعتمرت أنا وأختي عائشة، والزيبر، وفلان، وفلان، فلما مسحنا البيت أحللنا، ثم أهللنا من العشي بالحج<sup>(٦)</sup>.... إلى آخر ما قالت.

المنذري في الترغيب والترهيب ذكر باباً يقول فيه: الترغيب في التواضع في الحج، والتبذل، ولبس الدون من الثياب اقتداء بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام<sup>(٧)</sup>.

---

(١) المصدر السابق (٨٨٣٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الحج على الرجل (١٣٣/٢)، رقم: (١٥١٧).

(٣) أخبار مكة للفاكهي (٤٠٢/١)، رقم: (٨٦١).

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد (١٩٢/٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الحج على الرجل (١٣٣/٢)، رقم: (١٥١٦).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب: متى يحل المعتمر (٧/٣)، رقم: (١٧٩٦).

(٧) الترغيب والترهيب للمنذري (١١٦/٢).

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل -رحمهم الله-: حج أبي خمس حجج ماشياً واثنيتين راكباً، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهماً<sup>(١)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: الإحرام مبناه على مفارقة العادات في الترفيه، وترك أنواع الاستمتاع، فلا يلبس اللباس المعتاد، ولا يتطيب، ولا يتزين، ولا يتظلل، ويلتزم الخشوع، والاختشاش، ويقصد البيت وهو أشعث أغبر<sup>(٢)</sup>.

بينما تجد حملة تعلن عن سكن فخم، فنادق خمس نجوم، في عرفة يقولون: لا يوجد سكن مبانٍ، لكن سيكون له خيمة لوحده كبيرة مجهزة بوسائل الراحة والرفاهية، حمام من السيراميك، توفير خدمة سباحة، توفير خدمة فاكس وإنترنت، عيادة مختصة، ثلاث وجبات متنوعة، نظام البوفيه مفتوح، بعض الناس يسأل: حملتكم رز ولحم، أو بوفيه؟ ماذا يقدمون؟ ما نوع السلطات؟

أحدهم يقول لي: اثنا عشر نوعاً من السلطات عدتها في الحملة.

أنواع الحلوى يوم العيد أنواع كثيرة جداً، هل هذا هو المقصود؟

بعض الحملات تزيد على مائة ألف للشخص الواحد.

**سابعاً: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، فاعمل لحج مبرور.**

من البداية، احفظ اللسان، احفظ السمع، احفظ البصر، احفظ الجوارح، اعمل عمل من يرجع بحج مبرور، من البداية حتى لا تتدم وتقول: ليتنا سمعنا من يذكّر في البداية، فيسهل علينا تحصيل هذا المطلوب.

أحرم أنس بن مالك من ذات عرق، يقول من أحرم معه: ما سمعناه منكلاً إلا بذكر الله حتى حل، ثم قال: يا ابن أخي هكذا الإحرام<sup>(٣)</sup>.

وكان شريح إذا أحرم كأنه حية صماء<sup>(٤)</sup>.

يقول نافع مولى ابن عمر: أدركت أقواماً يطوفون بهذا البيت كأن على رؤوسهم الطير خُشَعاً<sup>(٥)</sup>.

ونحن كاميرات ولقطات في كل المشاعر، عند الحرم، وعند الطواف، وقف وارفع يديك! تصوير بعرفة، وتصوير بمزدلفة، وتصوير عند الحرم، وتصوير عند المقام، وتصوير عند الصفا، وتصوير عند المروة، ولا ترى إلا صور الفلاشات في كل مكان.

هذا الإخبات؟!، وبعضهم يصور لنفسه فيديو ويتنقل في المشاهد، ثم بعد ذلك يعرض هذا الفيديو.

يقول عطاء بن أبي رباح: رأيت عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس يطوفان بالبيت جميعاً كأن على رؤوسهما

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/٢٩٤).

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج (٣/٢٠٨).

(٣) الطبقات الكبرى (٧/١٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/١٠٤).

(٥) أخبار مكة للفاكهي، رقم: (٣٣٤).



الطير تخشعاً<sup>(١)</sup>.

عطاء يقول: طفت وراء ابن عمر وابن عباس فلم أسمع أحداً منهما يتكلم في الطواف<sup>(٢)</sup>.

ونحن بالجوات، وحديث في الطواف، والسعي، الجوال لا ينزل من أذنه، هل هذا معقول؟!.

تذكير بأمر آخر: لا يخلو حال الإنسان بعد هذا الحج إما أن ينصرف مغفوراً له أو مردوداً، الجميع، هي واحدة من اثنتين ما في ثالث، فإله الله، أوصي نفسي وأوصيكم، إما أن يرجع الإنسان بحج مبرور، صحيفته بيضاء ليس له جزاء إلا الجنة، والراجح أنه يكفر عنه حتى الكبائر، مغسول كيوم ولدته أمه.

إذا هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، لا تسود الصحيفة من جديد، انتبه، كن على جادة واستقامة، أو الثانية - نسأل الله العافية - وهذا بسبب فساد القصد، والعمل، فينبغي أن يعيد الإنسان حساباته، ويتوب إلى الله - عز وجل.

أسأل الله أن ينفعي وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلني وإياكم ممن قبل عمله، وسعيه، وحجه، وأن يرجع بحج مبرور، وأن يغفر لنا، ولوالدينا، وإخواننا المسلمين.

---

(١) المصدر السابق (٢٠٣/١)، رقم: (٣٣٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٣٧/٣)، رقم: (١٢٨١٠).